

على الخلاف

احتفالية أفول «داعش» سورياً وعراقياً تنطوي على عنصر خديعة، إن لناحية القراءة المتبورة لمسرح عمليات التنظيم، أو لناحية استراتيجية عمله الكوني. لا ريب أن مصيدة «الدولة» تكمن في تصميمها للجغرافيا، وهذا ما يفرقها عن «القاعدة» التي أوصى زعيمها السابق، أسامة بن لادن أنصاره في «بوكو حرام» النيجيرية، قبل أن ينقلبوا لاحقاً

مهلاً...

«داعش» باقية!

فؤاد إبراهيم

حسم تنظيم «القاعدة» في مرحلة مبكرة ديالكتيك الجغرافيا والأيديولوجيا، فتصالح مع مشروعه الكوني بتحديد هوية خصومه، أما وقد خسر «داعش» الجغرافيا فكان عليه أن يعيد صوغ أيديولوجية تنسجم مع مرحلة إعادة الانتشار، والتحرر من حرفة التسلسل المتعاقب (النكائية، التوحش، التمكين).

التناقض الحاد والدراماتيكي في

الموارد البشرية والمالية للتنظيم تبعاً لتقلص النطاق الجغرافي، أفقده الشروط الضرورية لمرحلة «التمكين»، وفرض عودة عاجلة إلى مرحلة «النكائية»، لا يكون فيها التنظيم أسير «الإقليم»، برغم من هوسه الدائم بها. كما يقيم عليها أحكام شريعته. ومع تآكل الأرض من تحت أقدام جند الخلافة في العراق والشام، بات في حكم المؤكد أن مرحلة التمكين قد أفلت، وأصبح من المنطقي التخلي عن شعار «تتمدد» ذات الصلة بالتقدم الميداني

وبمرحلة التمكين، والاكتفاء، في نهاية المطاف، بمجرد إثبات الوجود «باقية»، مسار العودة إلى مرحلة «النكائية» بات إلزامياً، وفرض تراجعاً عن دوغمائية «الدولة/ الخلافة» المشروطة بمرحلة «التمكين»، وإن كانت أدبيات «الدولة» مدخجة بقناعة راسخة بأن كل أرض مهما صغرت مساحتها وأمكن إقامة الحدود وأحكام الشريعة عليها تكتسب سمات مرحلة «التمكين» وتكون هي أرض «الدولة/ الخلافة»، وإن بعدت

المسافة بينها وبين مركزها.

خط بداية جديد

لا ريب، أن مشروع «الخلافة» سوف يبقى على نوستالجيا يراود عناصر «الدولة»، ممن كانوا معها أو انقلبوا عليها، وقد تحولت هي إلى خط بداية لجماعة أخرى جديدة تستلهم تجاربها، وتراجع مواطن إخفاقها، وتبني على مكاسبها، ولا ريب أيضاً أن الجماعة الناشئة سوف تعيد توظيف أدوات «الدولة» في

«دولة» الضليبين

في الفيليبين ذات السبعة آلاف ومائة جزيرة، يقطن معظم مسلميها في جزيرة مندناو الأقرب إلى ماليزيا، وهي ثاني أكبر الجزر ويقطنها ما بين 10 إلى 12 مليون نسمة من أصل 92 مليون نسمة إجمالي سكان الفيليبين، وتعد جماعة أبو سيف، عبد الرزاق أبو بكر جنجلاني (قتل في كانون الأول 1998)، وهي جماعة سلفية جهادية، انشقت عن جبهة التحرير الوطنية «جبهة مورو» وتدعو إلى إقامة «دولة إسلامية» غربي جزيرة مندناو، جنوبي الفيليبين. وقد درس أبو سيف العلم الشرعي في جامعة أم القرى في مكة المكرمة، وتخرّج فيها وعاد بعد تلقيه تدريبات عسكرية في ليبيا إلى منطقته جزيرة باسيلان في جنوب جزيرة مندناو جنوب الفيليبين، وحرّض على «كراهية النصاري» بدعوى أن المسلمين في الفيليبين يعانون من الاضطهاد على خلفية دينية في الشمال، وأن الحكومة المركزية حرّضتهم على قتل المسلمين وسلب أراضيهم.

بعد مقتل أبو سيف ضعفت الجماعة، وانقسمت إلى مجموعتين: مجموعة يقودها راودلان وهي الأكبر عدداً، والأخرى يقودها قذافي جنجلاني، وهي الأقل عدداً. وكانت الأخيرة خاضت مواجهات شرسة مع الجيش الفيليبيني والهجوم على كنائس، والقيام بعمليات خطف للأجانب. وفي نيسان 2016، قتل مسلحون من جنوب الفيليبين مرتبطون بتنظيم «الدولة» 18 جندياً من الجيش في معركة ضارية استمرّت يوماً واحداً على أرض وعرة، فيما تحدّث الناطق باسم الجيش عن قطع رؤوس عدد من الجنود.

وقد أعلنت أربع مجموعات تابعة لجماعة «أبو سيف» في فيديو مصوّر بثته إحدى المواقع التابعة لـ «داعش» في 20 حزيران 2016 مبايعتها للبغدادي. وجاء في الفيديو تعيين إسنيلون هابيلون المعروف باسم أبو عبدالله الفيليبيني «أميراً» على ما أسمتها «ولاية

الفيليبين». وظهر في الشريط ثلاثة أشخاص: إندونيسى، وماليزي، وفيليبيني مقيمين في مدينة الرقة معقل «داعش» في سوريا، وهم يؤكّدون قبول البغدادي بيعة هذه المجموعات. وفي نيسان من العام نفسه، أعلنت مجموعتان من جماعة أبو سيف مبايعتهما للبغدادي.

وتكشفت حقائق جديدة عن المشاركة القتالية للتنظيم في الفيليبين. ففي مواجهات أيار 2017 شارك العشرات من المقرّبين من «الدولة» ضد قوات الأمن في جنوب الفيليبين، في مؤشر واضح على أن منطقة جنوب الفيليبين تحوّلت، وبسرعة قياسية، إلى مركز حيوي لنشاط إرهابي تقوده تنظيمات السلفية الجهادية.

وبحسب المخابرات الفيليبينية فإن نحو 40 مقاتلاً جاؤوا في الفترة الأخيرة من الخارج وبعضهم جاء من دول في الشرق الأوسط كانوا ضمن ما بين 400 إلى 500 مقاتل اجتاحتها مدينة ماراوي في جزيرة منداناو، من جنسيات إندونيسية، وماليزية، وباكستانية، وسعودية، وشيشانية، ويمينية، وهندية، ومغربية، وتركية، حسب المصدر نفسه. يشي هذا المعطى بمتغيّر استراتيجي كبير وهو ما لفت إليه الخبير الأمني في كلية «إس. راجاراتنا» للدراسات الدولية في سنغافورة، روحان جوناراتنا في تصريحات له نشرت في 30 أيار الماضي، بأن «تنظيم داعش يتقلّص في العراق وسوريا ويتناثر في مناطق من آسيا والشرق الأوسط»، مشيراً إلى أنه من المناطق التي يتوسّع فيها هي جنوب آسيا والفيليبين التي تعتبر مركز الاستقطاب.

وبعد نجاح تنظيم «الدولة» في حصار مدينة ماراوي في 22 أيار الماضي، دعا الرئيس الفيليبيني رودريغو دوتيرتي، في 26 أيار تنظيم «داعش» للحوار قائلاً: «إن الفرصة لا تزال سانحة لإحلال السلام». وجاءت الدعوة بعد محاولات فاشلة لفك الحصار بالزج بقوات مدعومة بالطائرات الهجومية، حيث أبدى المتحصّنون من جماعة ماوتي التي أعلنت

مبايعتها لتنظيم «داعش» مقاومة شديدة. وفي 30 أيار الماضي نشرت وكالة «رويترز» تقريراً عن المعارك الدائرة في مدينة ماراوي، وذكرت بأن عشرات من المقاتلين الأجانب إلى جانب المتعاطفين مع تنظيم «الدولة» قاتلوا ضد قوات الأمن في جنوب البلاد التي أصبحت مركز استقطاب لتنظيم «الدولة» بعد طرد مقاتليها من العراق وسوريا. وكان عناصر من جنوب شرق آسيا يقاتلون في صفوف «داعش» في سوريا قد أصدروا العام الماضي، 2016، توجيهات لمواطنيهم يحثّونهم على الانضمام لإخوانهم في جنوب الفيليبين أو شن هجمات في الداخل بدلاً من محاولة السفر إلى سوريا.

وبحسب جوناراتنا: «إن المقاتلين الأجانب يشكّلون مكوتاً كبيراً بشكل غير معتاد من مقاتلي تنظيم الدولة الإسلامية ومن الوجود الجاري تشكيله للتنظيم في جنوب شرق آسيا». وفي 22 تشرين الأول الماضي خاضت القوات الفيليبينية مواجهات شرسة مع مجموعات موالية لتنظيم «داعش» في مدينة ماراوي التي حاصروها منذ 22 مايو/ أيار من العام نفسه، ولم تنجح القوات الفيليبينية في فك الحصار عنها برغم من دعوات الاستسلام التي يطلقها الجنود الفيليبينيون عبر مكبّرات الصوت، فيما كانت تتصاعد المخاوف من أن يكون تنظيم «داعش» قد نجح في ابتكار تكتيكات قتالية تؤدي إلى استنزاف القوات النظامية فيما يعزز التنظيم وجوده في الغابات والجبال والمناطق النائية في جنوب الفيليبين، وإن يتم تجنيد الشباب للقتال، ويجمع السلاح بكميات كبيرة. وقد تمكّن الجيش الفيليبيني من قتل أمير «داعش» فيها إسنيلون هابيلون، كما قتل عمر الخيام ماوتي زعيم جماعة ماوتي. إن نوعية القتال والنتائج التي يحققها تنظيم «الدولة» تجعل منه لاعباً فاعلاً في الساحة الفيليبينية، بل وفي عموم شرق آسيا، بما يطيل أمد بقاءه ويفتح أفق مناوئته بعيداً عن هاجسي الجغرافيا والأيديولوجيا.

جذب وتجنيد العناصر الجديدة. إن العوامل التي ألهمت ومشاعر الألاف كي يجدوا في «القاعدة»، وتالياً «داعش» ماوى لتوقعاتهم وأحلامهم قد تكون هي ذاتها بالنسبة لجماعات أخرى من قبيل: فشل مشروع الدولة، وفقدان الثقة في أنظمة الحكم، وعطب سياسات إدماج المهاجرين في المجتمعات المحلية في الغرب، وأزمة الهوية والانتماء، والضغوطات الاقتصادية والاجتماعية، العولمة المتوحشة.

بناء على تحقيقات مجموعة «سوفان» المعلن عنها في حزيران 2014، أخصيت ما بين 27 . 31 ألف شخصاً سافروا إلى العراق وسوريا للالتحاق بتنظيم «الدولة» ومجموعات عنيفة متطرّفة أخرى، من 86 بلداً في العالم. وفي أيلول 2015 قُدرت الاستخبارات الأميركية عدد المقاتلين الأجانب في سوريا نحو 30 ألف مقاتل من أكثر من 100 بلد. وفق تقديرات أخرى من مصادر متعددة، كان هناك أكثر من 40 ألف عنصر أجنبي التحقوا بصفوف تنظيم «الدولة»، ينتمون لأكثر من 110 دولة في أرجاء العالم من قبل وبعد إعلان «الخلافة» في يونيو/ حزيران 2014. فاليري غيراسيموف رئيس الأركان العامة الروسية قدّر في 27 كانون الأول الجاري عدد مقاتلي «داعش» في سوريا وحدها بـ 59 ألف مقاتل، وأن القوات الروسية قضت

خاضت القوات الفيليبينية مواجهات شرسة مع مجموعات «داعش» في مدينة ماراوي (أ ف ب)

